ولو كانت تتمادى الف الف سنة صافيا من كل كدر لكان لا نسبة له الى الابد فكيف ومدة العمر قصيرة
ولذات الدنيا مكدرة غير صافية فاي نسبة لها الى نعيم الابد فاذا لا يلتفت الزاهد الى زهده الا
اذا التفت الى ما زهد فيه ولا يلتفت الى ما زهد فيه الا لانه يرى شيئا معتدا به ولا يراه لدنيا شيئا
معتدا به الا لقصور معرفته فسبب نقصان الزهد نقصان المعرفة فهذا تفاوت درجات الزهد وكل
درجة من هذه ايضا لها درجات اذ تصبر المتزهد يختلف ويتفاوت ايضا باختلاف قدر المشقة
في الصبر وكذلك درجة المعجب بزهده في قدر المقايسة الى زهده واما الانقسام بالاضافة الى
المرغوب فيه فهو ايضا على ثلث درجات الدرجة السفلى ان يكون المرغوب فيه النجاة من النار وسائر
الالام كعذاب القبر ومناقشة الحساب وخطر الصراط وساير ما بين يدي العبد من الاهوال كما وردت
به الاخبار اذ فيه ان الرجل ليوقف في الحساب لو ورد مائة بعير عطاشا على عرقه لصدرت رواء
فهذا زهد الخائفين فكانهم رضوا بالعدم لو اعدموا فان الخلاص من الالم يحصل بمجرد العدم الدرجة
الثانية ان يزهد رغبة في ثواب الله ونعمه واللذات الموعودة في جنته من الحور والقصور وغيره
وهذا زهد الراجين فان هؤلاء ما تركوا الدنيا قناعة بالعدم والخلاص من الالم بل طمعوا في وجود
دايم على نعيم قايم لا آخر له والدرجة الثالثة وهي العليا ان لا يكون له رغبة الا في الله عز وجل
وفي لقايه فلا يلتفت قلبه الى الالام ليقصد الخلاص منها ولا الى اللذات ليقصد نيلها والظفر بها
بل هو مستغرق الهم بالله عز وجل وهو الذي اصبح وهمومه هم واحد وهو الموحد الذي لا يطلب غير الله
لان من طلب غير الله فقد عبده فكل مطلوب معبود وكل طالب عبد بالاضافة الى مطلبه وطلب غير الله من الشرك
الخفي وزهد هذا زهد المحبين وهم العارفون لانه لا يحب الله الا من عرفه وكما ان من عرف الدينار وعرف
الدرهم وعلم انه لا يقدر على الجمع بينهما لم يحب الا الله فمن عرف الله وعرف لذة النظر الى وجهه الكريم
وعرف ان الجمع بين تلك اللذة وبين لذة التنعم بالحور العين والنظر الى نقش القصور وخضرة الاشجار

غير

غير ممكن فلا يحب الا لذة النظر ولا يؤثره غيره ولا تظنن ان اهل الجنة عند النظر الى وجه الله عز وجل يبقى للذة
الحور والقصور متسع في قلوبهم بل تلك اللذة بالاضافة الى لذة نعيم الجنة كلذة ملك الدنيا والاستيلاء
على اطراف الارض ورقاب الخلق بالاضافة الى الاستيلاء على عصفور واللعب به والطالبون لنعيم الجنة عند اهل
المعرفة وارباب القلوب كالصبي الطالب للعب بالعصفور التارك للذة الملك وذلك لقصوره عن ادراك لذة
الملك لا لان اللعب بالعصفور في نفسه اعلى والذ من الاستيلاء بطريق الملك على كافة الخلق واما انقسامه
بالاضافة الى المرغوب عنه فقد كثرت فيه الاقاويل ولعل المذكور فيه يزيد على مائة قول فلا نشتغل بنقل الاقاويل
ولكن نشير الى كلام محيط بالتفاصيل حتى يتضح ان اكثر ما ذكرنا فيه قاصر عن الاحاطة بالكل فنقول المرغوب
عنه بالزهد له اجمال وتفصيل وللتفصيل مراتب بعضها اشرح لاحاد الاقسام وبعضها اجمع للجمل اما الاجمال
في الدرجة الاولى فهو كل ما سوى الله عز وجل فينبغي ان يزهد فيه حتى يزهد في نفسه ايضا والاجمال في الدرجة
الثانية ان يزهد في كل صفة للنفس فيها متعة وهذا يتناول جميع مقتضيات الطبع من الشهوة والغضب والكبر
والرياسة والمال والجاه واسبابهما اذ اليهما ترجع حظوظ النفس في الدرجة الرابعة ان يزهد في العلم والقدرة والدينار
والدرهم اذ الاموال وان كثرت اصنافها فيجمعها الدينار والدرهم والجاه وان كثرت اسبابه فيرجع الى العلم والقدرة
واعني به كل علم وقدرة مقصودها ملك القلوب اذ معنى الجاه هو ملك القلوب والقدرة عليها كما ان معنى المال ملك
الاعيان والقدرة عليها فان جاوز هذا التفصيل الى شرح وتفصيل ابلغ من هذا فيكاد يخرج ما فيه الزهد عن الحصر
وقد ذكر الله عز وجل في آية واحدة سبعة منها فقال زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة
من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا ثم رده في آية اخرى الى
خمسة فقال اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد ثم رده
في مواضع آخر الى اثنين فقال وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو ثم رد الكل الى واحد في موضع آخر وقال ونهى
النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى فالهوى لفظ يجمع حظوظ النفس في الدنيا فينبغي ان يكون الزهد فيه فاذا

Copyright © King Saud University